بسم الله الرحمن الرحيم

نسخة وورد

هـذه تحقيقـات في مسـألة التسلسل وإبطـال لما تلفظ به بعض المجسمة في الدفاع عن شيخه الأعظم وهيهات سميتها:

النقد القويم

سعيد فودة
غفر الله تعالى له

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وبعد:

فهذه تعليقات مختصرة، أودعت فيها سؤالات موجهة نافذة لا ترد، وتحقيقات دقيقة لا تُغمط، على ما كتبه بعض المجسمة المقلدة الغافلين عن كثير من الحقائق في الدفاع عن ابن تيمية في مسألة التسلسل النوعي للعالم في القدم[1].

أولاً: ذكر أن الأقوال الممكنة عقلاً في مسألة حدوث العالم وقدمه ثلاثة أقوال لا رابع لها، ولا يمكن عقلاً أن يكون لها رابع !! هكذا ادعى.

الأول عنده: أن هذا الكون محدث لله تعالى بعد أن لم يكن، وهذا ما يقول به ابن تيمية[2].

الثاني: انه قديم بذاته ليس له خالق، وهو قول الدهرية.

الثالث: أن العالم صادر عن الله تعالى صدور العلة عن المعلول، وهو قول ابن سينا والفلاسفة.

أقول: التحقيق في عرض هذه المسألة إنما هو كما يلي، لا كما ذكره هذا لهدف في نفسه سنظهره في تعليقاتنا الآتية.

تقول: إما أن تثبت الخالق أو لا تثبته، على الثاني وإثبات العالم، يلزم القول بقدم شيء من العالم، أي مادته، وتسلسل صورته، أو تسلسل العالم بالمادة والصورة، وهو قول الجهلة الماركسيين والماديين.

وعلى الأول، إما أن تقول بصدور العالم عن الخالق صدور المعلول عن العلة، وفي هذه الحالة يلزم قدم ممكن ما، وعليه تسلسل صوره، وهو قول ابن سينا وغيره من الفلاسفة.

أو تقول بوجود العالم القديم وجوداً مستقلا عن الخالق، وهذا تهافت لا يقول به إلا الجهلة.

أو تقول بحدوث كل ما سوى الله تعالى حدوثاً شخصياً، ولا نجزم بأن هذا العالم هو أول المخلوقات، ولكن نجزم بوجود مخلوق أول لا محالة، وهذا هو قول المتكلمين، وهو الصحيح.

أو تقول بتسلسل العالم في القدم بمادته وصورته، أو بصورته فقط، وتقول في نفس الوقت بصدوره عن الإرادة الإلهية، وهذا تناقض بيِّن ومخالف للشريعة، وهو قول ابن تيمية.

ويمكن لهذا القول أن يؤول في حقيقته إلى القول بالصدور الواجب، ذلك إذا قال القائل بأن الخلق كمال لله تعالى كما يقول به ابن تيمية، بمعنى أن حصول الخلق هو الكمال، لا أن القدرة على الخلق هو الكمال، فيلزمه أنه دائماً خالق ولا يمكن إلا أن يكون كذلك، فلا يمكن إلا أن يريد الخالق أن يخلق، وهذا لا يختلف في حقيقته عن القول بالفَيض، قول الفلاسفة الذين يذمهم هذا المدعي.

وقد أغفل ذكر هذا القسم مع أنه هو محل النزاع، أي هو التهمة التي يُتَّهمُ بها ابن تيمية، وكان الواجب أن يذكره صراحة، ولا يتناساه كما فعل، وكل هذا نوع من أنواع التحايل.

واعلم أن الخلاف ليس هو في حدوث هذا العالم المشاهد، فقد تم الاتفاق عليه، ولكن الخلاف هو في وجود سلسلة لا متناهية ولا أول لها من الحوادث، وقد أثبتنا نحن فيما كتبناه من تعليقات على كتب ابن تيمية أنه يقول بهذا الرأي الفاسد.

تنبيه:

ونحن ننبه هنا إلى أن تفسير هذا المدعي لكلام القاضي عياض في الشفا من" أن من قال أن مع الله تعالى في الأزل شيئاً قديماً غيره، فهو كافر"، تفسيره لهذه العبارة تلبيس وغلط.

فالمفهوم منها كما هو معلوم وكما أشار إلى ذلك العلامة الملاَّ على القاري في شرح الشفا (أن من قال بوجود شيء حادث أو قديم مع الله تعالى في الأزل، فقد كفر).

وهذا بغض النظر عن كون هذا القديم من فعل الله تعالى وباختياره - إذا كان هذا متصوراً عقلاً أو لا، وكذا في الحادث المفروض وجوده في الأزل.

وقد حمل هذا المدعي كلام القاضي على من قال إن العالم قديم ليس له خالق، وذلك على خلاف معناه، ليفر من لزوم تكفير القائل بوجود حادث مع الله تعالى في الأزل.

واعلم أن هذا تحريف لكلام القاضي، فلا تغتر بهذا الفعل، ولا تعجب فشيخه هو من علمه هذا الصنيع.

ثانياً: كل العبارات التي نقلها هذا المدعي عن ابن تيمية ويصرح فيها بحدوث كل ما سوى الله تعالى، ليست هي في محل النزاع، لأن النزاع هو في قدم نوع الحوادث، أي عدم وجود أولية لسلسلة الحوادث، فابن تيمية ينفي الأولية عند قوله بالتسلسل في الأزل، ولا أحد من الناس اتهمه بالقول بقدم مخلوق بعينه حتى يأتي هذا بالنصوص التي تنفي ذلك.

ولكن إما هو عدم فهم للمقام أو تلـبيس، ولا يبعد أن يكـون الأمرين مجتمعين.

إشارة: انظر الى القول الـذي نقله عن ابن تيمية في ص16 أي قوله في الصفدية (1/131) في الرد على من قال بقدم العالم: " بل غاية ما يقررونه أنه لا بد من دوام فعل الفاعل "

وقد أقـرهم ابن تيمية على ذلـك، أي أنه أقـرَّ بوجـوب كـون فعل الله تعالى دائماً لا ينقطـع، وهـذا هو أصل قوله بالتسلسـل، ولا فرق في وجوب الفعل على الله تعالى شيئاً بعد شيء، بحيث يصـدر عنه تعـالى حـوادث لا أول لهـا، وبين وجـوب الفعل عليه تعـالى في مـادة العـالم ثم عـدم تنـاهي صـورها كما هو قـول الفلاسفة، وعلى القولين يلـزم الوجـوب على الله تعـالى، وعـدم إمكـان الانفكـاك عن الفعـل، وهو الـذي التزمه ابن تيمية بـالقول بالتسلسل، وهو ما انفك عنه المتكلمون بـالقول بالحـدوث التـابع لإرادة الله تعــالى المطلقــة. وشــتان ما بين القــولين، فقــول المتكلمين يلزم عنه تنـزيه الله تعالى عن الجـبر المطلـق، وقـول الفلاســفة وابن تيمية حاصــله عــدم القــدرة على الانفكــاك عن صدور الفعل.

فتأمل في هذا وافهمه، ودقق النظر في المعـاني، ولا تغـتر بكثرة النقول، فما تفهمه هو ما يصير إليه الاحتكام، ولا يكون هذا بمجرد كثرة الكلام.

تنبيه:

تفكر فيما نقله هـذا المـدعي عن ابن تيمية ص18 أي قوله في الصـفدية (2/163) "وليس من مخلوقاته قـديم ولا مقـارن له عز وجل ".

واعلم أن دلالة هذا اللفظ نفي وجود مخلوق واحد قديم، أو واحد مقارن له تعالى في أزليته.

ولا ينفي مقارنة جنس المخلوقات ونوع الحوادث له تعـالى، وهو ما صرح به كما تجـده في تعليقنا على شـرحه أو قل تحريفه لمعـاني حـديث عمـران بن حصـين، حيث صـرح بمعية الخلق لله تعالى في الأزل !

واعلم أن هذا المـدعي مهما أتى من نقـول، فلن يزيد على ما مذكره نحن هنا من معاني، ولا تنجـرف مع كـثرة الكلام، فإنما الحجة تكون بالبيان.

ثالثاً: ذكر كلاما للإمام الرازي في شرح الإشارات، وفسره تفسيرا خاطئا، ثم بنى عليه وتناقض، وبيان هذا كما يلي:

الإمـام الـرازي ينص على أن كـون الله تعـالى واحـداً، هـذا ليس هو الأصل الـذي تبـنى عليه مسـألة قـدم العـالم أو حدوثـه، وهذا صحيح.

واعترض عليه ابن تيمية على ما ذكره هذا المدعي، ورجح - في نظـره- القـول الـذي يجب أن يكـون على خلاف ما ذكـره الـرازي، والمـدعي هـذا وقف إلى جـانب ابن تيميـة، وادعى في خبث ومكر أن القـوم أي المتكلمين سـابقهم ولاحقهم لا يـدرون رأس هذا البحث ؟!

ولا أريد أن أدافع عن المتكلمين هنا في مقابل ما يقوله هذا الغافـل، ولكن أريد الإشـارة إلى أنه لا يكن في قلبه أي احـترام للعلمـاء ومنهم الـرازي، وانه إنما يضـرب أقـوالهم ببعض ليخـدم بهذا شيخه المجسـم. وما نفحـات التوقـير الـتي يبـديها في بعض المواقع إلا فحيح أفعى.

وعلى كل حال، يقال له: إذا كنت تخطئ الأمام الـرازي في هذه المسألة، فلم كررت قوله محتجـاً به في ص23، وكـذا قلت في ص57 عن نفس المسـألة: "والمسـألة ليست من مسـائل التوحيد أصلا إلا عند من لا يدري!!".

فمن هو الـذي لا يـدري بعد هـذا التنـاقض، هل هو الإمـام الرازي !!؟ أم أنت وشيخك المتناقض المجسم..

رابعـاً: سـلمنا أن ابن تيمية يقـول: إن مجمـوع الحـوادث أو نوعها مسبوق بالله عز وجل، وهذا مع قوله أن أفعال الله تعـالى لا نهاية لها، بمعنى أن سلسلة الحوادث لا بداية لها في المضي.

ثم نسأل: أليس هذا تناقضاً ؟؟

بيان التناقض أنه يقول: إن السلسلة لا بداية لهـا، ثم يقـول إنها كلها مسبوقة بالله تعالى !

كيف وما كـان مسـبوقاً بشـيء لم يكن غـير ذي نهايـة، بل وجب أن يكون محدوداً ومتناهياً.

سـلمنا أنها كلها على ما هي به من عـدم تنـاهي صـادرة بإرادة الله تعالى، فكيف تتصور أمراً صادراً بـالإرادة وهو لا بداية له ؟!

وقد اتفق العقلاء جميعاً على أن كل ما كـان فعلاً عن إرادة فيجب أن يكون حادثاً بعد أن لم يكن.

هذا السؤال طرحنـاه هنا لكي يتـبين للقـارئ وجه التنـاقض في قـول من يقـول بالسلسـلة في الأزل ومع ذلك يرجعها إلى إرادة الله تعالى.

وقد أدرك الفلاسفة استحالة أن ينشأ ما لا نهاية له في الأزل عن إرادة مريد، فلذلك قالوا بأن العالم صادر عن الله تعالى صدور المعلول عن العلة ؟ وما أشبه هذا بذلك لو تم الثاني وخلا عما فيه من تناقض.

نكتة: قال هذا المدعي في مسألة الحوادث التي لا أول لها، في ص23: إن الخلاف فيها خلاف خطأ وصواب، وليس خلاف تضليل وتفسيق.

ثم قال: لأن الطرفين كليهما متفقان أن الله خالق كل شيء، فالمثبتون [أي المثبتون للتسلسل] قالوا: خلقها مباشرة عن مشيئته، والنفاة يقولون: بل بعد ذلك بدهور. اهـ قوله.

هكذا صور هذا الألمعي الخلاف في المسألة، والتحقيق في ذلك أن الفرق بين مثبتي التسلسل والنافين أن يقال: المثبت قائل بالخلق الذي لا أول له ؟؟ غير المتناهي في الأزل !! والثاني قائل بالخلق الذي له بداية، هذا هو العرض الصحيح.

وأما قوله إن الخلاف فيها خلاف لا يترتب عليه تبديع ولا تفسيق، فلو كان كذلك حقاً فلم ضلَّل ابن تيمية الأشاعرة لقولهم بما قالوا ؟ ولِمَ بدعوه وكفره البعض لما قال.

وما قال هذا الأحمق تلك العبارة عن تحقيق ولا عن فهم، ولكن قالها ليبرئ صاحبه من تهمة التفسيق ! فافهم.

وأما قوله: بل بعد ذلك بدهور ؟ فهذا إما تلبيس أو غباء.

فإذا كان الدهر الذي هو الزمان لا يوجد إلا مع الحوادث، والحوادث لم توجد بعد، فكيف تقول ان حدوثها جاء بعد أزمان. فهذا كأنك تقول إن الزمان وجد بعد أزمان من عدم وجوده ! وبين أن هذا تناقض.

ولا يريد هذا المدعي إلا التلبيس على أهل السنة فيما يقولون.

وقد بيَّنا هذا الأمر في تعليقاتنا على ابن تيمية، وفيما كتبناه على كلام المطيعي، فانظره هناك.

خامساً: أما عرضه للحجج التي تنفي التسلسل والاعتراضات عليها، فلا نخوض نحن مع هذا المدعي لقصر فهمه عن الغوص في هذه الأعماق. لا سيما وقد بحثناها في محل آخر.

وأما تفسير الخلق عند أهل السنة فلا حاجة لنا للاستدلال عليه إلا بأن نشير إلى متن الطحاوية التي هي بمتناول كل إنسان، وفيها يفسر الطحاوي كون الله تعالى خالقاً قبل الخَلْق، بأنه قدير على أن يخلق، لا بأن الخلق معه منذ الأزل، لأنه لا

يكون لعبارته عند ذاك معنى، لأنه (لا قبل) على مذهب التسلسل لهم.

تلــويح: وأما الحجة الــتي أتى بها !! لإفحــام من يقــول بانقطــاع السلســلة وذلك في الصــفحة 32 قــال: يُســأل هــذا المسكين: هل يمكن أن يخلق مذ كان هو الخالق، فإن قال: نعم، فقد قال بإمكان حوادث لا أول لها. اهـ

فهــذه حجة سفســطائية، لأن المســؤول يقــول: قبل أول مخلوق خلقه الله هل يوجد قبل غير الله تعالى الــذي هو قبل كل شيء، أي هل يوجد زمـان يمكن أن يحل فيه مخلـوق آخـر، فـإن قـال: نعم لزمه القبح والمصـادرة على المطلـوب، وإن قـال لا؛ فيلزم انقطاع السلسلة.

وافهم أنك إن وعيت ما هو المـراد بـالأول عند أهل السـنة وما هو المراد بالحدوث، انفك عنك كل إشكال في هذه المســألة وفي غيرها.

وقد وضــحنا هــذا المعــنى في تعليقاتنا على المطيعي وابن تيمية فانظره هناك.

وحاصله أن الأزل ليس هو عبارة عن زمان معين ولا أزمـان غــير معينــة، بل هو تعبــير عن القيــام بالــذات وعــدم الأولية في الوجــود. والحــدوث ليس هو حصــول الشــيء في زمـان مسـبوق بأمكنــة، بل هو ابتــداء الوجــود أي كــون الوجــود له بدايــة، وذلك بصرف النظر عن الزمان.

وعليــه، فالله تعــالى موجــود في الأزل وليس موجــوداً في زمان لا نهاية له ولا بداية، بل إن وجوده أزلي قائم بذاته غني عن غيره.

وما سواه حادث، وغير موجــود منذ الأزل، يعــني أن وجــوده مفتقر الى غيره وأنه ليس قائما بذاته. فتدبر هذا.

سادساً:

وهنــاك كلمة يتعلل بها ابن تيمية ومن تابعه كثــيراً، وقد يقع فيها بعض المتكلمين، وهي قولهم: إن التسلسل في الآثـار جـائز، بخلاف التسلسل في العلل والمؤثرات فهذا محال.

ونحن نــرى بطلان هــذا القــول كما يــرى ذلك جمهــور المتكلمين والعقلاء، وبيان ذلك كما يلي:

- حصل الاتفاق على بطلان تسلسل العلل في الماضي، أي أن توجد علة معلولة عن علة وهــذه عن غيرها في المضي لا إلى نهاية.

- وادعى البعض جـــواز التسلسل في الآثــــار، أي في المفعولات ؟ ! فإن قصدوا به تسلسـلها في المسـتقبل فلا يضـر، لأنه في حالة التسلسل في المســـتقبل لا تكـــون المالانهاية قد تحققت في الوجــود، وذلك مهما حصل من الحــوداث شــيئاً بعد شيء، لأنَّ كل ما يقع في الوجود الحـادث فيكـون ومحـدوداً. وما كان كـذلك فليس هو لا نهاية لـه، بل له نهاية وإن قصد بها أنه ما من أثر إلا وقبله أثر إلى المالانهاية له في الأزل، وهذا ما يقصده، فنقول لهذا المدعي:

هل يمكن أن يصـدر الأثر وهو الفعل من غـير سـبب وعلـة، إن قـال: نعم، سـقط الكلام معه فهو جاهـل، وإن قـال: لا؛ قلنـا: فهل يمكن للعلة الواحدة أن ينتج عنها مفعولات متعـددة ومختلفة مع اتحاد القابل، فإن قال نعم سقط الكلام معه أيضـاً. وإن قـال: لا. فيلزمه إذن وجود علة لكل أثر من هذه الآثـار تكـون سـببا في وجـــوده، فتنتج سلســـلة من العلل في مقابل سلســـلة الآثـــار والمعلــولات، ومهما اســتمرت الآثــار في التسلسل في القــدم لزمك تسلسل العلل.

وهذا لا جواب عليه.

ومن هـــذا تعلم أنه يســـتحيل تسلسل الآثـــار إلا بتسلسل العلل، ويكون من التناقض والغفلة تجويز أحدهما على الآخر.

فتفكر فيه، تعلم سبب اعتراض الأصـفهاني والأسـنوي على الأرموي وغيره.

سابعاً: قال هذا المدعي في ص 45: "المركب من القـديم والحادث هو حادث".

نقــول: إن ســلمت بهــذه العبــارة وأنت فــاهم لها أيها المدعي، فنقول لك: ألا يقـول ابن تيمية بقيـام الحـوادث في الله تعالى، ويقول الله تعـالى قـديم، فيلـزم على قوله هـذا أن يكـون الله تعالى مركباً من القديم والحادث، على قوله.

ويلزمك تكفيره على قولك.للزوم القول بحدوث الله تعـالى لكون اللزوم بينا كما أشرت أنت أيها الحاذق.

ثامناً: محاولتك التفريق بين أولية الله تعــــــــالى وأولية الحــوادث في السلسـلة، محاولة سـاقطة لما فيها من التهـافت. فأنت قلت في ص48: "أولية الله تعالى قائمة بذاتها سـابقة على كل شـيء...وهـذه الأولية فقـيرة معدومة مسـبوقة باللـه، فـأين المشـاركة ؟ " اهــ كـذا قلت، فالسلسـلة عنـدك مسـبوقة بالله تعالى فقيرة معدومة !

ولعلك غفلت عن أن الشـــيء إن لم يكن ســـابقاً على كل شيء بل يكون مسبوقاً بشيء لا يكون له أولية حقيقية بل يكـون مفتتح الوجود.

وما كان معدوماً ثم أوجده الله تعالى كيف يكـون وجـوده لا بداية له، فهل هذا إلا التناقض التام والغباء الصريح ؟!

ثم معنى قولك أن هذه الحوادث يسـتحيل أن تكـون مقارنة للـه، هـذا بـالنص منـك، أي يجب أن تكـون بعـده، وهـذا بـالمعنى المفهوم، فكيف يجوز لك بعد ذلك أن تقول: إن السلسلة لا بداية لها ؟؟! وهل هو إلا تناقض.

تمسك المـــدعي الجهـــول بكلام المطيعي تمســـكٌ بما لا متمسك به، وقد بينا ذلك في محله[3].

ثم لا المطيعي ولا محمد عبده يقاسـان بـالنوابغ من علمـاء الكلام حـتى يجعل كلامهما في مقابل كلامهم، لا سـيما إذا كـان كلام المطيعي ما هو إلا ترديد لكلام محمد عبـــده، وكلام محمد عبده ما هو إلا تكرير لبعض الشـبه الـتي انتهى علمـاء الكلام من الرد عليها منذ قرون عديدة وبينوا عوارها وضعفها.

واعتمـاد محمد عبـده على الأفغـاني في هـذه المبـاحث لا يخفى على المطلعين، وأتعجب بعد هذا، متى أصـبح محمد الأمين الشـنقيطي من المتكلمين حـتى يؤخذ كلامه في مواجهة كلامهم ؟!!

وأما ما ذكره الأرمـوي فقد رده عليه الأصـفهاني والأسـنوي وغيرهما، فماذا بعد ذلك ؟!

والحمد لله رب العالمين.

وما ذكرنـاه هنا يكفي البـاحث عن الحق ليعلم أن المسـألة أكبر من هذا المدعي، وأنه لا يدري فيها قـدراً يؤهله لكي يخـوض مع الخائضين، وكيف يكون كـذلك وقد تلقى عن كتب من لا يفهم هذه المباحث أصلاً، وهو شيخه المجسم على الحقيقة.

أَلَّف بين هذه الكلمات في اليوم السادس عشر من رمضان المبارك

سنة ألف وأربعمائة وخمسة عشر للهجرة المباركة

راجيا النفع بها في الدارين

سعيد فودة

غفر الله تعالى له ووفقه

وليس لنا إلى غير الله تعالى غاية ولا مذهب

[1] هو مراد شكري الذي يدعي حب الأشاعرة وهو لا يــدري من هم، ويدعي التحقيق في كثير من العلوم التي لم تتناولها يد مجسم من أصحابه وهو من هــذا كله بــريء. وكتابه "دفع الشــبه الغوية " معظم ما فيه كلام تافه لا قيمة له، ولا يدل إلا على جهل هذا الرجل وعـدم تأهله للخـوض في هــذه المســائل. ودل على أنه لا يعــرف ما هي عقائد ابن تيمية بعد حق المعرفة، أو أنه متلاعب مكابر كمن يقتدي بهم من المجسمة قبله.

[2] هذا ما يقول به ابن تيمية في هـذا العـالم المشـاهد، لا في جنس العـالم، وأما المتكلمـون من أهل السـنة فيقولـون به في جميع الكائنـات الحادثة. فهي موجودة عندهم بعد العدم. وأما عند ابن تيمية فجنس العـالم لا بداية لـــه. وإن هو ادعى في بعض المواضع أن له بداية وهي إرادة الله تعالى، فهذا تناقض مع ما يقول به من التسلسل في القدم كما سنوضحه، لأن ما كان ناشئا عن إرادة، فلا بد أن يكون حادثا ولا بد أن يكون العدم قد سبقه، ولا يمكن أن يكون لا بداية له كما يدعي هذا الرجل وأتباعه.

[3]- المطيعي على عظيم قـدره في الفقه والأصـول بل إن حاشـيته على شرح الإسنوي على المنهـاج من أعظم ما كتب في علم الأصـول، إلا أنه غفر الله تعالى له اتبع محمد عبده وجمال الأفغـاني في هـذه المسـألة أو كاد، وقد كتبت بعض التعليقات على كلامه فيها.